آراء أبو اليسر محمد البزدوي الاعتقادية
في مسائل الإيمان

اعداد : مريم بنت موسى عقيلي

طالبة دكتوراة : تخصص عقيدة ودعوة

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

كلية الآداب العلوم الإنسانية

قسم الشريعة والدراسات الاسلامية

تخصص / عقيدة ودعوة

الملخص

هدفت الدراسة الكشف عن آراء أبو اليسر محمد البزدوي الاعتقادية في مسائل الإيمان، واعتمدت الدراسة على منهج البحث الاستقرائي المتمثل في قراءة كتاب "أصول الدين" لأكثر من مرة من أجل تتبع كلامه في المسائل العقدية "مادة البحث"، ومنهج البحث التحليلي: وذلك بعرض أقوال البزدوي في المسائل العقدية، وبيان أدلته عليها مع تحليل نصوصها، ومنهج البحث النقدي: والمتمثل في نقد آراء البزدوي ببيان المواطن التي وافق فيها الحق، والمواضع التي خالفه فيها، مع التدليل على بطلان شبهاته من خلال عرضها على نصوص الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة وأئمتها، وتوصلت إلى نتائج من أهمها: ذهب أبو السير البزدوي إلى أن الإيمان هو التصديق في اللغة، تنوعت عبارات أئمة السلف الصالح رحمهم الله في تعريفهم للإيمان الشرعي، إلا أن جميعها تتفق على أنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ما ذهب إليه البزدوي من القول: بأن الإيمان هو مجرد التصديق قول مردود مخالف للنصوص الشرعية وما قرره أهل السنة والجماعة، ذهب البزدوي إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل بل هو واحد متماثل وهو قول مردود حيث إن إجماع أهل السنة والجماعة قائم على زيادة الإيمان ونقصانه، وأن أقوالهم متظاهرة في ذلك.

The Views of Abul-Yosr Mohammad Al-Bazdawi on the Issues of Faith

By: Maryam bint Mousa Aqily

ABSTRACT

The current study aimed at uncovering the views of Abul-Yosr Mohammad Al-Bizdawi on the issues of faith. The study adopted the inductive method represented in reading the book of "The Origins of Religion" many times to figure out Al-Bizdawi's views which related to the issues of doctrine (the research material). The study adopted the analytical research method for presenting Al-Bizdawi's views in the issues related to the doctrine and introduced his evidences and analyzed his texts. The study also adopted the critical method represented in reading the views of Al-Bizdawi showing the situation in which he was with the right side and those which he was not with the right side. Furthermore, evidences were presented verifying the falsehood of his views via evaluating them from the viewpoint of the Holy Quran and As-Sunnah and the views of the Prophets' companions and his followers. The results of the study revealed that Al-Bizdawi defined faith in language as a ratification, but the followers of the prophet defined faith as a doctrine in the Muslim heart accompanied by words and deeds; consequently, what was mentioned by Al-Bizdawi (faith is ratification) is wrong which as it is different from Islamic law and the views of Ahl As-Sunnah and Al-Jama'ah. Al-Bizdawi asserted that faith is fixed and there are no levels of faith, but his views are not right as they differ from those of Ahl As-Sunnah and Al-Jama'ah who assterted that faith is not fixed and it increases and decreases.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال الله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمنوا باللّهَ ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل }[1] .

أما بعد :

فإن البحث في مسائل الإيمان ، والتي هي مسائل الأسماء والأحكام من أهم مسائل الدين ، لما له من أهمية وفائدة علمية ودينية تتعلق بالعقيدة نحتاج إلى بيانها وتجليتها ، لا سيما في هذا الزمان الذي راجت فيه سوق الأهواء والبدع ، وتنوعت الانحرافات وخصوصا في باب الايمان ، لكن الله قيض لهذا الدين من يدافع عنه ، فخلف من بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم علماء أفداد ، كان منهج التلقي عندهم في مسائل الايمان وغيره كتابَ الله وسنةَ رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن ثمَّ فلا سبيل للنهوض بالأمة المسلمة اليوم إلا بالرجوع إلى النبع الصافي والمنهل الشافي ، الذي كان عليه سلف الأمة ، وأئمتها من القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وما تفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً إلا ببعدها عن ذلك المصدر ، واتباعها سنن الذين من قبلها مع ما وقر في النفوس من الهوى وحب الدنيا وإيثارها على الآخرة .

---

١ سورة النساء ، الآية : ١٣٦

لذا فقد توجه اهتمامي بعد الاستشارة والاستخارة إلى اختيار أبي اليسر البزدوي كأحد أعلام المتكلمين في الماتريدية ، ليكون موضوع البحث هو:"آراء أبو اليسرمحمد البزدوي الاعتقادية في مسائل الايمان "

أولاً : أهمية موضوع البحث وأهدافه :

تكمن أهمية البحث وأهدافه في النقاط التالية:

١- الحاجة الملحة إلى تجلية عقيدة الماتريدية بعرضها ومقارنتها بمنهج أهل السنة والجماعة ، لا سيما في هذا الوقت الذي كثرت فيه دعوى الانتساب إلى أهل السنة بحق وبغير حق ، حتى التبس الأمر على كثير من الناس ؛ مما يستدعي التجلية والتوضيح .

٢- دراسة الأعلام المشهورين وبيان آرائهم الاعتقادية إحدى طرق البحث الجيدة في تحصيل العلم ؛ لما في ذلك من الفوائد المتعددة من قراءة كتب هذا العَلَم واستخراج المسائل العقدية منها ومدارستها ، والبحث عن أوجه الحق والخطأ فيها ، كما أنها تنمي ملكة النقد لدى الباحث .

٣-السعي في خدمة منهج أهل السنة والجماعة بدراسة كتب المخالفين لهم والرد عليهم ثانياً : أسباب اختيار موضوع البحث :

هناك جملة من الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

١-أن البزدوي من المتكلمين الماتريديين المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة ؛ لذلك آثرت دراسة آرائه الاعتقادية في كتابه " أصول الدين " ونقدها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

٢-المساهمة في توضيح المذهب الحقّ ؛ مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة ، وبيان توسطهم بين الفرق المخالفة .

ثالثاً : الدراسات السابقة :

لم يتناول أحد بالبحث والدراسة _ حسب علمي _ كتاب " أصول الدين " لأبي اليسر محمد البزدوي ، وآراءَه الاعتقادية في الايمان .

خامسا : منهج البحث :

١- منهج البحث الاستقرائي : والمتمثل في قراءة كتاب " أصول الدين " لأكثر من مرة من أجل تتبع كلامه في المسائل العقدية " مادة البحث " .

٢- منهج البحث التحليلي : وذلك بعرض أقوال البزدوي في المسائل العقدية ، وبيان أدلته عليها مع تحليل نصوصها .

٣- منهج البحث النقدي : والمتمثل في نقد آراء البزدوي ببيان المواطن التي وافق فيها الحق ، والمواضع التي خالفه فيها ، مع التدليل على بطلان شبهاته من خلال عرضها على نصوص الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة وأئمتها .

سادسا : خطوات البحث :

هناك جملة من الخطوات البحثية التي سأقوم بإتباعها أثناء كتابة هذا البحث ، ويمكن إبرازها فيما يلي :

أولاً : فيما يتعلق بجمع المادة العلمية :

١- قراءة كتاب " أصول الدين " قراءة فاحصة لاستخراج المسائل العقدية عن الايمان وتتبع آراء البزدوي فيها .

٢- الاعتماد في قراءة كتاب " أصول الدين " على النسخة التي نشرتها المكتبة الأزهرية للتراث .

ثانياً : فيما يتعلق بعرض المسائل ودراستها :

١- ذكر رأي أبو اليسر البزدوي بحيث أُورد كلامه نصاً بتمامه في حال كونه قصيراً ، أو مع التصرف فيه إن كان طويلاً بما لا يخل بمقصوده ومعناه .

٢- التعليق على نصوص ابو اليسر البزدوي وعباراته من حيث مدى موافقتها أو مخالفتها لمذهب أهل السنة والجماعة ، وذلك على النحو التالي :

أ. إن كانت المسألة العقدية مما وافق فيه ابو اليسر البزدوي مذهب أهل السنة والجماعة : سأذكر ما يدل على ذلك من كلامهم وبعض أدلتهم تأييداً لما ذهب إليه

ب . وإن كانت المسألة مما خالف فيه ابو اليسر البزدوي مذهب أهل السنة والجماعة : سأذكر ما يدل على ذلك من كلامهم ، مع بيان بطلان قوله بما يتيسر من أوجه الرد .

ج- توخي الإنصاف والاعتدال في تقويم آراء أبو اليسر البزدوي .

ثالثاً : فيما يتعلق بكتابة البحث وتوثيقه :

١- وضع مقدمة تشتمل على أهمية موضوع البحث ، وأهدافه ، وأسباب اختياره ، مع التطرق للدراسات السابقة ، والمنهج المتبع فيه وأهم خطواته ، ومن ثمَّ خطة تقسيم البحث .

٢-عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالخط العثماني .

٣- تخريج الأحاديث الواردة في البحث ، وذلك من خلال الطريقة التالية :

أ . إذا كان الحديث موجوداً في الصحيحين أو في أحدهما فسأكتفي بهما عما سواهما.

ب . أما إذا كان الحديث موجوداً في خارج الصحيحين فسأجتهد في تخريجه من المصادر الحديثية المعتمدة الأخرى ، ثم سأذكر حكم الأئمة عليه .

٤-توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها العلمية .

٥- وضع الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص " " ، وما تم نقله بالمعنى أو تصرفت فيه فأشير إلى ذلك في الحاشية بلفظ : انظر .

٦- تذييل البحث بعدة فهارس لتيسير الاستفادة منه .

رابعا: تقسيم البحث (خطة البحث) :

يشتمل البحث على مقدمة منهجية ،وتمهيد و ثلاثة مباحث ، ، فهرس المراجع .

المقدمة : وتتضمن عدة نقاط تبين طبيعة البحث ، وتكشف عن مساره ، وتوضح معالمه ، وهذه النقاط تنحصر في :

. أهمية موضوع البحث وأهدافه .

. أسباب اختيار موضوع البحث .

. الدراسات السابقة .

. منهج البحث .
. خطوات البحث .
. تقسيم البحث (خطة البحث) .
التمهيد: وتناول المراد بالأسماء والأحكام
المبحث الأول : تعريف الايمان
المبحث الثاني : القول في زيادة الايمان ونقصانه
المبحث الثالث : الإيمان هل هو مخلوف أم لا؟
فهرس المراجع

التمهيد

المراد بالأسماء: الأسماء الشرعية التي وردت في الكتاب العزيز والسنة النبوية: كمؤمن وكافرن ومسلم وفاسق.

أما الأحكام فالمراد بها: أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية: " وتنازع الناس في الأسماء والأحكام، أي:: في اسماء الدين، مثل: مسلم ومؤمن، وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة" (١)

وتظهر أهمية الأسماء والأحكام في كونها من المسائل العظيمة التي يدور عليها قطب رحى الاعتقاد في الإسلام، وهي الدرجة العظمى والرتبة العليا من الدين؛ وذلك لما يترتب عليها من الحكم على العبد بالإيمان أو الكفر، وعصمة دم المسلم وماله وعرضه، ولتعلق السعادة والشقاوة بها، كما أن أول خلاف وقع في الأمة كان بسببها.

ولأهميتها فقد أولى السلف الصالح رحمة الله عنايتهم بها، وتوضيح دقائقها، وألفوا فيها المصنفات المستقلة. يقول ابن رجب: " وهذه المسائل أعني: مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جداً؛ فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة...

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ٣٨/١٣.

وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسائل تصانيف متعددة، وممن صنف في الإيمان من أئمة السلف: الإمام أحمد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن أسلم الطوسي، وكثرت فيه التصانيف بعدهم"[1].

(١) جامع العلوم و الحكم : ابن رجب٣٠.

المبحث الأول : تعريف الايمان

المبحث الثاني : القول في زيادة الايمان ونقصانه

المبحث الثالث : الإيمان هل هو مخلوف أم لا؟

المبحث الأول: التعريف بالإيمان

المطلب الأول: عرض رأي أبي اليسر البزدوي.

ذهب أبو السير البزدوي إلى أن الإيمان هو التصديق في اللغة، حيث قال: قال " أهل السنة والجماعة": الإيمان هو التصديق في اللغة بلا ريب"[1].

ثم ذكر الأدلة من النقل والعقل على قوله هذا.

أولاً: الأدلة النقلية:

١. قال تعالى: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [2] ، أي ما أنت بمصدق لنا.

ولما كان الإيمان تصديقاً في اللغة يجب أن يكون تصديقاً في الشريعة وهو التصديق بالقلب والتصديق باللسان وهو الاعتقاد بالقلب فإن الله تعالى هو المستحق للألوهية ولا إله سواه.

٢. ثول تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[3]. نعتقد تعظيمه ونعتقد جميع صفاته وتصدق الأنبياء عليهم السلام فيما جاءوا به من عند

(١) أصول الدين: البزدوي: ١٤٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

الله. بالقلب ونعتقد جميع أركان الإسلام ونقر بذلك كله، نكار الإيمان: اقراراً باللسان واعتقاداً بالقلب وهو تصديق كله[١]."

٣. قول الله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[٢] فلم يجعلهم مؤمنين حين لم يعتقدوا وكن فيه دلالة على أن التكليف ثابت في حق الاعتقاد، وأن الاعتقاد مقدور عليه، وفيه دليل على أن الإيمان بالقول إيمان أيضاً؛ لأنه قال: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} فلابد من الإيمان حتى يتصور دخوله في قلوبهم وليس ذلك إلا الإيمان باللسان. [٣]

٤. وقال الله تعالى: {مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٤] ومعناه: من كفر بالله من يعد إيمانه {وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فجعل النطق باللسان كفراً وبالقلب كفراً ، ولكن عفا عنه إذا كفر بالنطق ولم يكفر بالقلب عند الإكراه؛ لأن الإكراه يتصور في النطق ولا يتصور في الاعتقاد. ولما كان الكفر بالقلب واللسان؛

(١) أصول الدين: البزدوي: ١٤٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٣) أصول الدين، البزدوي، ١٥١.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

فالإسلام بالنطق والاعتقاد جميعاً؛ لأن الكفر ترك الإيمان ولأن الخلاف في الكفر والإيمان سواء" [1].

ثانياً: الدليل العقلي:

يقول أبو اليسر البزدوي: وجه قول " أهل السنة والجماعة": هو أن الإيمان هو التصديق – على ما ذكرنا – والتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان وباللسان أبلغ، فيكون كل واحد منهما ركناً من الباب، فلا يوجد الإيمان إلا بهما غلا عند الضرورة والعجز؛ فإنه يكتفى بأحدهما لأن العاجز من حيث الآلة لا يكلف فيما عجز عنه. ولهذا صح إيمان الآخر من وبقى إيمان المكره عن النطق بالكفر، ولو تصور العجز عن الاعتقاد بدون الإقرار لا كتفي بالإقرار، غلا أنه لا يتصور، لأن العاقل لا يتصور أن لا يقدر على الاعتقاد، والتكليف لا يتوجه إلا على العاقل. [2]"

(١) أصول الدين، البزدوي: ١٥٢.

(٢) أصول الدين: البزدوي، ١٥١.

المطلب الثاني : نقد رأي أبو اليسر البزدوي:

الإيمان في اللغة:

قال ابن فارس: " أمن: الهمزة ، والميم، والنون أصلان متقاربان:

أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب.

والآخر: التصديق(١)".

وقال الجوهري: " الإيمان: التصديق، والله تعالى المؤمن؛ لأنه أمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن: آمن بهمزتين، لينت الثانية، والأمن: صد الخوف(٢)".

وقال الراغب الأصفهاني: " وآمن : إنما يقال على وجهين:

والثاني: غير متعد ومعناه: صار ذا أمن ... قال تعالى: { وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}(٣)، قيل معناه: بمصدق لنا، إلا أن الإيمان: هو التصديق الذي معه أمن"(٤) .

وقال ابن منظور: " والإيمان: ضد الكفر، والإيمان بمعنى: التصديق ضده التكذيب، يقال : آمن به قوم، وكذب به قوم(٥)".

---

(١)لسان العرب، ابن فارس ،{أمن}، ١٣٣/١.

(٢) تهذيب اللغة، الجوهري، {أمن}، ٢٠٧١/٥.

(٣) سورة يوسف، من الآية: ١٧.

(٤)الغريب في مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني (أمن)، ٢٦.

(٥)لسان العرب، ابن منظور، (أمن)، ٢١/١٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اشتقاق الإيمان: " فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد".[١]

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة يتضح:

أن أصل الإيمان: التصديق المقترن بالأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة ، وليس مجرد التصديق فقط. [٢]

الإيمان في الشرع:

تنوعت عبارات أئمة السلف الصالح رحمهم الله في تعريفهم للإيمان الشرعي، إلا أن جميعها تتفق على أنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

وفيما يأتي بعض أقوالهم في ذلك:

يقول الحسن البصري: " الإيمان قول، ولا قول إلا بعمل ، ولا قول وعمل إلا بنية"[٣]

وقال أبو ثور البغدادي: " الإيمان تصديق بالقلب، والقول باللسان، وعمل بالجوارح"[٤] .

---

(١)الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٩٦٧/٣.

(٢) انظر: الأيمان: ابن تيمية (٩٩-١٠٠)، مجموع الفتاوى: ابن تيمية (١٢٢/٧-١٣١).

(٣) الشريعة، أخرجه الآجري رقم ٢٥٨، ٦٣٩/٢.

(٤)شرح أصول اعتقاداً هل السنة ، أخرجه اللالكائي، ، رقم ١٥٩٠، ٨٤٩/٤.

وقال أبو بكر الخلاف فيما نقله عن إمام أهل السنة والماعة أحمد بن حنبل: " وكان أحمد بن حنبل يذهب إلى أن الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالقلب(١)".

ويقول الآجري: " باب القول بأن الإيمان: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه الخصال الثلاث ... اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو : تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح(٢)".

وقال ابن أبي زيد القيرواني: " الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح(٣)".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح(٤)".

(١) العقيدة، أحمد بن حنبل، ١١٧.

(٢)الشريعة، الآجري، ٦١١/٢.

(٣)رسالة ابن أبي زيد القيرواني ،عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ٨.

(٤)العقيدة الواسطية ، ابن تيمية، ، ٣٩.

ومن هذه التعاريف يتبين:

أن الإيمان ليس شيئاً واحداً، بل هو مركب من ثلاثة أمور لازمة وواجبة لتحقيق الإيمان، وهي: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح.

أدلة السلف على مذهبهم في حقيقة الإيمان:

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم ، وأحاديث السنة المطرة، يجد أنها قد دلت على أن الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح.

فمن الأدلة على أن الإيمان تصديق بالقلب: قوله تعالى {**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**}. وقوله تعالى : {**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[1].

قال ابن بطة العكبري رحمه الله: " فهذا بيان ما لزم القلوب من فرض الإيمان، لا يرده ولا يخالفه ويجحده إلا ضال مضل"[2].

(١) سورة النحل ، الآية (١٠٦).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية : ابن بطة العكبري (٧٦٢/٢).

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}(١).

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " وهذه صفة المنافقين، لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب(٢)".

ومن الأدلة على أنه قول باللسان: قوله تعالى : { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا }(٣). وقوله تعالى: {وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ}(٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله"(٥).

وأما الأدلة على أنه عمل بالجوارح فأكثر من ان تحصى، والمتأمل لنصوص القرآن الكريم يجد أن المولى عز وجل قد قرن الإيمان بالعمل الصالح، وذلك في أكثر من

(١) سورة الحجرات، من الآية: ١٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ٢٩٩/١٦.
(٣) سورة البقرة من الآية: ١٣٦.
(٤) سورة العنكبوت من الآية: ٤٦.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح ٧٢٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله(ح٢١).

ستة وخمسين موضعاً، وفي ذلك دلالة واضحة على أنه لا يستقيم إيمان بدون عمل، ولا يستقيم عمل بدون إيمان.

يقول الأوزاعي رحمه الله : " لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة، وكان من مضى من سلفنا، لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل"(١).

فمن الأدلة على أن العمل من الإيمان قول الله تعالى {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**}(٢).

وقوله عز وجل: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**}(٣).

فجعل هذه الأعمال كلها إيماناً.

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية : ابن بطة العكبري(٢/٨٠٧).

(٢) سورة الأنفال من الآية: ٢-٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية : ١٥.

ومن الأدلة أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فافضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان[1]"

فجعل الإيمان شعباً بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح. فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان، تقول: شهدت أشهد شهادة، والشهادة فعلها بالقلب واللسان، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، والحياء في القلب، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح.

فنجد أن البزدوي في تعريفه للإيمان يوافق تارة الماتريدية وتارة أبو حنيفة وذلك على أن ما ذهب إليه البزدوي من القول: بأن الإيمان هو مجرد التصديق قول مردود مخالف للنصوص الشرعية وما قرره أهل السنة والجماعة.

وذلك من جانبين:

الجانب الأول: من حيث اللغة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وليس لفظ: الإيمان مرادفاً للفظ: التصديق ، كما يظنه طائفة من الناس...، وذلك أن الإيمان يفارق التصديق، أي : لفظاً ومعنى.

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب أمور الإيمان (ح٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء (ح٣٥).

فإنه أيضاً يقال: صدقته فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال: أمنته إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة ، بل آمنت له ... كما يقال: أقررت له، فهذا فرق في اللفظ.

والفرق الثاني: ما تقدم من أن الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار، بل في الإخبار عن الأمور الغائبة ونحوها مما يدخلها الريب، فإذا أقر بها المستمع، قيل: آمن ، بخلاف لفظ: التصديق، فإنه عام متناول لجميع الأخبار.

وأما المعنى: فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أن لفظ: الإقرار مأخوذ من قريقر، وهو قريب من آمن يأمن، لكن الصادق يطمئن إلى خبره، والكاذب بخلاف ذلك، كما يقال: الصدق طمأنينة، والكذب ريبة، فالمؤمن دخل في الأمن، كما أن المقر دخل في الإقرار ، ولفظ: الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار ...

والثاني: إنشاء الالتزام...

وكذلك لفظ: الإيمان في إخبار وإنشاء والتزام، بخلاف لفظ: التصديق المجرد"[1].

الجانب الثاني: من حيث الشرع:

والرد فيه على البزدوي من طريقين:

(١)مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ٧/٥٢٩-٥٣١.

الطريق الأول: النقض:

وذلك بأن يقال:

١- إن الإيمان في اللغة: ليس هو مجرد التصديق، بل هو الإقرار، والإقرار يتضمن الإخبار والالتزام.

٢- إن الإيمان لو فرض أنه في اللغة: مجرد التصديق، فإن الأعمال داخلة في مسماه. وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن التصديق يكون بالأعمال أيضاً، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه : " إن الله كتب على ابن أدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"(١).

الوجه الثاني: أن يكون المراد به: تصديقاً خاصاً دل عليه الشرع، وهو تصديق يتضمن الاعتقاد والقول والعمل جميعاً(٢)".

٣- إن الإيمان لو كان هو مجرد التصديق، فإن التصديق يلزم منه ضرورة تحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال والأعمال(٣)".

٤- إن القول: بأن الإيمان هو مجرد التصديق يلزم منه لوازم باطلة.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، ح٦٢٣٨، كتاب القدر، باب : { وحرام على قريةٍ أهلكنها أنهم لا يرجعون} ، ٢٤٣٨/٦. صحيح مسلم، ح ٢٦٥٧، كتاب القدر، باب قدرة على ابن آدم حظه من الزنا، ٢٠٤٦/٤. واللفظ له.

(٢) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ، ٣٨١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ٥٤١/٧.

منها:

أ- أن من لم ينطق بالشهادتين وهو مصدق بقلبه، كأبي طالب، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى يكون مؤمناً، وهؤلاء متفق على كفرهم.

ب- أن من صدق بقلبه ولم يعمل بجوارحه، فلم يصل ولم يصم ولم يزك مؤمن، لبقاء أصل التصديق بقلبه، وهذا باطل.

ج- أن من صدق بقلبه ثم أتى ناقضاً من نواقض الإسلام القولية أو العملية فإنه لا يكفر، بل يكون مؤمناً لبقاء أصل التصديق في قلبه [1]، وهو من أفسد اللوازم.

الطريق الثاني: المعارضة:

وذلك من خلال النصوص الدالة من الكتاب العزيز، والسنة النبوية، والإجماع على أن الإيمان عبارة عن اعتقاد وقول وعمل[2].

أما الأدلة النقلية التي استدل بها البزدوي على الإيمان مجرد التصديق القلبي.

فالجواب عنه:

أن هذه النصوص الشرعية لا تنفي وجود الإيمان في غير القلب كما أنه قد جاءت نصوص شرعية أخرى تدل على أن الإيمان باللسان كي تقدم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ٥٨٣/٧.

(٢) انظر: أدلة السلف على حقيقة الأيمان،

أما: موافقته لأبي حنيفة في تعريف الإيمان فإنه : تصديق بالقلب وإقرار باللسان"[1] .

فإذا أبو حنيفة – رحمه الله – يجعل الإيمان مركباً من جزئين، أحدهما: أصلي ثابت، لا يحتمل السقوط أبداً ، وهو التصديق، وثانيهما: يمكن سقوطه، والتجاوز عنه، لوجود ملابسات تمنع من الوفاء به، وهو الإقرار. الاقرار بالقلب ثابت.

وبذلك يكون كغيره من المتكلمين الذين أخرجوا العمل عن دائرة الإيمان.

وبهذا فهو قد خالف مذهب أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: الوصية مع شرحها، أبو حنيفة: ٢. والعالم والمسلم: أبو حنيفة: ٥٢.

المبحث الثاني: القول في زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول: عرض رأي أبي اليسر البزدوي

يقول البزدوي : الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند أهل السنة والجماعة"[١].

ثم يقول: فإن إيمان البعض أكمل وصفاً من البعض، وبه يتفاضل المؤمنون حتى روى عن "أبي حنيفة" أنه قال: أقول إيماني كإيمان جبريل، ولا أقول إيماني مثل إيمان جبريل – صلوات الله عليه – لأن المثل يقتضي المساواة في الصفات وكاف التشبيه لا تقتضي هذا [٢]". ويصرح بأنه يجعل العبادات. تبعاً وليست من الإيمان حيث يقول: " وأصحاب الحديث" يجعلون العبادات من الإيمان، فيتصور الزيادة والنقصان عندهم ونحن لا نجعل إلا تبعاً، وبفوت التبع لا ينتقص ذات الشيء، كفوت القرن من الشاة والثور والظبي إنما ينقص بفوت بعضه. وهم أخطأوا فيما قالوا؛ فإنهم وافقونا أنها منه تبعاً حتى صح الإيمان بدونها وبفوت التبع لا ينتقص الشيء بل قد يزداد بوجوده. فقول " الحسين" أقرب إلى الصواب، ونحن نقول: إنه يزداد وصفاً بالعبادات لا ذاتاً، وكذا يزداد بمعاني أخر صفة لا ذاتاً[٣].

---

(١) أصول الدين : البزدوي، ١٥٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

المطلب الثاني : نقد رأي ابي اليسر البزدوي

زيادة الإيمان ونقصانه من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة، فالإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص المعصية.

كما أنه يتفاضل من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة أمر الرب:

إن الإيمان الذي أمر به شخص من المؤمنين ليس هو الإيمان الذي أمر به كل شخص؛ فإن المسلمين في أول الأمر كانوا مأمورين بمقدار من الإيمان، ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك، فقد يتنوع الإيمان في الشريعة الواحدة، وما يجب على المكلف دون غيره من الإيمان المجمل والمفصل، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

الجهة الثانية: من جهة فعل العبد:

وهو تفاضل الناس في الإتيان بالإيمان مع استوائهم في الواجب، وهذا أيضاً يتفاضلون فيه؛ فليس إيمان السارق والزاني والشارب كإيمان غيرهم، ولا إيمان من أدى الواجبات كإيمان من أخل ببعضها، كما أنه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه، بل هذا أفضل ديناً وبراً وتقوى، فهو كذلك أفضل إيماناً[1].

والأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان ونقصانه متضافرة من الكتاب العزيز، والسنة النبوية، والإجماع:

(١) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ١٣/٥١-٥٢، ٥٥.

أ) دلالة الكتاب العزيز:

ومن ذلك:

١- قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}(١)

٢- قوله سبحانه: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}(٢)

والآيتان كما هو ظاهر فيهما تصريح بزيادة الإيمان.

٣- قوله عز وجل: {نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}(٣)

وهنا أخبار من الله تعالى بزيادة الهدى مما يدل على زيادة الإيمان، ولهذا استدل أهل العلم بهذه الآية على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: { وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}: " استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحدٍ من الأئمة كالبخاري(٤) وغيره، ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص"(٥).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري، البخاري ٢٤/١.

(٥)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧٥/٣.

ب) دلالة السنة النبوية:

ومنها:

١- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(١).

وهذا الحديث يبين أن الإيمان شعب متعددة ومتفاوتة في الفضل، وبحسب أنواع هذه الشعب وكثرة ما يتحلى المؤمن منها وقوة تمثله بها يزيد إيمانه، وينقص ذلك يكون نقصه.

قال ابن منده: " والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب، والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي، فمنها قيل : يزيد وينقص"(٢).

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالك " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(٣).

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب أمور الإيمان (ح٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء (ح٣٥).

(٢)الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده، ، ١/٣٠٠.

(٣) صحيح مسلم، ح٤٩، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/٦٩.

وفي الحديث بيان مراتب تغيير المنكر وكونها من الإيمان، وأن أدنى مرتبة من مراتب التغيير: مرتبة تغيير المنكر بالقلب، وهي أضعف الإيمان، فدل على أن ما سبقها من المراتب أقوى إيماناً.

وقد بوب النووي هذا الحديث عند شرحه لصحيح مسلم في كتاب الإيمان بقوله: " باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص"(١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"(٢).

قال ابن عبد البر: " ومعلوم معمول أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكنن غيره أنقص(٣)".

(١)المنهاج ، النووي٢،/٢١.

(٢) سنن أبي داود، ح٤٦٨٢، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٢٢٠/٤. سنن الترمذي، ح ١١٦٢، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤٦٦/٣. وقال: " حديث حسن صحيح" . مسند الإمام أحمد، ٧٤٠٢، ٣٦٤/١٢. وقال محققوه: " هذا إسناد حسن رجاله ثقات". وقال الألباني: " حسن صحيح". الألباني، صحيح سنن أبي داود، ١٤١/٣. الألباني، صحيح سنن الترمذي، ٥٩٤/١.

(٣)التمهيد ، ابن عبد البر، ٢٤٤/٩-٢٤٥.

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية التي هي مستند أهل السنة والجماعة في اعتقادهم بأن الإيمان يزيد وينقص.

ومما يجدر التنبيه إليه:

أن كل دليل دل على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس؛ وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جازت عليه الزيادة جاز عليه النقص.

ومن ذلك أيضاً:

فعل البخاري في صحيحه، حيث قال ابن حجر العسقلاني عند شرحه لكتاب الإيمان: " ثم شرح المصنف[1] يستدل لذلك بآياتٍ من القرآن مصرحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل؛ فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة"[2].

ج) دلالة الإجماع:

حكى غير واحدٍ من أئمة السلف الصالح رحمهم الله الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه.

ومما جاء في ذلك:

قول أبو الحسن الأشعري: " وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"[3].

(١) أنظر: صحيح البخاري، البخاري ١/١١.

(٢)فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، ١/٤٧.

(٣)رسالة إلى أهل الثغر ، أبي الحسن الأشعري، ، ٢٧٢.

وقال ابن عبد البر: " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان: قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأجمع السلف أن الإيمان: قول وعمل ، يزيد وينقص"(٢).

وقال ابن القيم عن الإيمان: " فإنه بإجماع السلف يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(٣).

وبهذه النقول يتضح:

إن إجماع أهل السنة والجماعة قائم على زيادة الإيمان ونقصانه، وأن أقوالهم متظاهرة في ذلك.

وللزيادة والنقصان في الإيمان عدة أوجه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وسيقتصر على ذكر أهم هذه الأوجه من كلامه:

الوجه الأول: أن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل، فليس تصديق من صدق الرسول مجملاً من غير معرفةٍ منه بتفاصيل أخباره، كمن عرف ما أخبر به عن الله تعالى وأسمائه وصفاته، والجنة والنار، والأمم، وصدقه في ذلك كله.

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد، ٢٣٨/٩.

(٢) تيمية، مجموع الفتاوى، ٦٧٢/٧.

(٣)مدارج السالكين ، ابن القيم، ٤٢١/١.

وليس من التزم طاعته مجملاً ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به، كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه.

الوجه الثاني: أن نفس العلم والتصديق بتفاضل ويتفاوت، كما يتفاضل سائر صفات الحي من القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ومن المعلوم أن الهلال المرئي يتفاضل الناس في رؤيته، وكذلك سماع الصوت الواحد يتفاضلون في إدراكه. فما من صفةٍ من صفات الحي، وأنواع إدراكاته وحركاته، بل وغير صفات الحي إلا وهي تقبل التفاضل.

الوجه الثالث: زيادة أعمال القلوب ونقصها، فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وخشية الله سبحانه، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه، فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة، ويخافه تارة أكثر مما يخافه تارة، ولهذا كان أهل المعرفة من أعظم الناس قولا بدخول الزيادة والنقصان فيه؛ لما يجدون من ذلك من أنفسهم.

الوجه الرابع: أن التفاضل يحصل من هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها، فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك.

الوجه الخامس: أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره، كما يحصل النقص من جهة الغفلة والإعراض عنه[1].

وخلاصة الأمر:

أن هذه الأوجه الخمسة من أظهر الدلائل التي تثبت زيادة الإيمان الذي في القلب ونقصانه، وتفاضل أهله فيه على حسب ما تقرر بيانه، أما تفاضلهم في الأقوال والأعمال الظاهرة فلا يشتبه على أحد.

فمذهب البزدوي في هذه المسألة تبع لأبو حنيفة فالإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل بل هو واحد متماثل؛ لأن الإيمان هو التصديق والإقرار والتصديق شيء واحد لا يتصور فيه الزيادة ولا النقصان ولا التفاضل فإما أن يبقى كله أو يزول كله، فالإيمان الواجب على الناس واحد لا يجب على من تجب عليه الزكاة والحج إيمان زائد من غيرهم وهذا على قاعدتهم الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتفاضل ولا يتألف من شعب وأركان فهو أمر واحد الناس فيه سواء فلا زيادة في إيمان العبد فبمجرد دخول العبد في الإيمان إلى موته وإيمانه واحد لا يزيد إيمانه ولا ينقص، والتفاضل عندهم في الأعمال كالصلاة والصدقة وهي وإن كانت من الدين إلا أنها خارجة عن اسم الإيمان.

كذلك عندهم: لا يتفاضل الناس في الإيمان جبريل عليه السلام عندهم وإيمان الأنبياء والمرسلين وإيمان محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر كإيمان غيرهم

(١) انظر: مجموع الفتاوي ، ابن تيمية، ٧/٥٦٢-٥٧٤.

بل كإيمان أفجر الناس وأفسقهم إذا كانوا مؤمنين، وهذا على قاعدتهم بأن الإيمان ليس مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة ومن شعب، وقولهم باطل بنص القرآن وبالعقل: فالله تعالى يقول: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}[1] .

والعقل يدل على التزايد حتى في التصديق فالمؤمن قد يزيد تصديقه وقد يضعف حسب القرائن والمؤثرات، بل حتى في الأخبار نسبة التصديق فيها متفاوت بين الناس بل وفي الشخص الواحد من جهة، ومن جهة ثانية فإن التصديق مفصل فإن المؤمنين ليسوا في العلم بأمر الله وخبره سواء فممن علم بوجود ملك اسمه إسرافيل وميكائيل ورضوان صدق به ومن لم يعلم لم يكن مصدقاً ولا مكذباً فنقص تصديقه، وإن كان عنده التصديق المجمل بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يعلم بكل ما أخبر به، فالناس في التصديق متفاوتون لأنه راجح للتفصيل في العلم، ومثل ذلك عدد الأنبياء والمرسلين وأخبار الغيب واليوم الآخر وصفات الله عز وجل وصفات رسوله صلى الله عليه وسلم [2]، فكيف يزعم الماتريدية ومد وافقهم بعد هذه الحجج النقلية والعقلية وغيرها أن الإيمان والتصديق متماثل ولا تفاضل فيه ولا زيادة ولا نقصان لا في نفسه ولا بين أصحابه.

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٢) انظر: الإيمان: ابن تيمية ، ٨٦/١٩٣-١٩٨.

المبحث الثالث: الإيمان هل هو مخلوف أم لا؟

المطلب الأول: عرض رأي ابى اليسر البزدوي.

ذكر البزدوي اختلاف الناس في الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ وهذا الاختلاف مين أهل السنة والجماعة مع اتفاقهم على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى: " فقال " أئمة بخاري" بأجمعهم : إنه لا يجوز الصلاة خلفه.. وشددوا في هذا الباب تشديداً بالغاً حتى حجروا على من قال بخلق الإيمان وكذا من توقف فيه.

و"أهل سمرقند" بأجمعهم قالوا بخلق الإيمان، وأنه مخلوق لله تعالى وجهلوا من قال إنه غير مخلوق. وجه قول من يقول الإيمان مخلوق: ظاهر وهو أن الإيمان عند " أهل السنة والجماعة" : إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهما من أفعاله وجميع الأشياء مخلوقة لله تعالى، فكذا هذان الفعلان. وجه قول الفريق الآخر: ما روى "نوح بن أبي مريم المروزي" عن " أبي حنيفة" أنه قال: من قال بخلق الإيمان فقد قال بخلق القرآن، والقول بخلق القرآن باطل، فإنه قول بخلق كلام الله تعالى. كذا هذا، وفيه إشارة إلى أن القول بخلق الإيمان قول بخلق كلام الله تعالى. والدليل على أنه قول بخلق كلام الله تعالى: إن الله تعالى بكلامه الأزلي الذي ليس بحادث ولا محدث قال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ }[1] فمن قال لا إله إلا الله؛ فقد قال ما قال الله تعالى، كمن قرأ القرآن فقد قرأ ما قال الله تعالى وكان ما قال الله تعالى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

من قوله لا إله إلا هو إيماناً منه. فمن قال إن الإيمان مخلوق مطلقاً فقد قال بأن كلام الله تعالى مخلوق كمن قال مطلقاً القرآن مخلوق، وإن كان القرآن يقع على قراءة العبد وهو فعله فإنه يقع على كلام الله، فلا يجوز الإطلاق بأن القرآن مخلوق، فكذا لا يجوز الإطلاق بأن الإيمان مخلوق(١).

ثم ذكر ما اختاره البزدوي من هذه الأقوال فقال: " ونحن نختار هذا القول " ويقصد به القول الأول، قوله أئمة بخاري – " فإن هذا مذهب " أبي حنيفة" وهو ما رواه "نوح بن أبي مريم" الجامع عن " أبي حنيفة" رواه لنا والدنا الشيخ الإمام " أبو الحسن محمد بن الحسن بن عبد الكريم" رحمة الله عليه هذا الحديث عن "نوع ابن أبي مريم"(٢).

المطلب الثاني: نقد رأي أبي اليسر البزدوي

القول في خلق الإيمان وعدمه " من مسائل الفضول، والسكوت أولى". (٣)

وقد ورد عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن ذلك؟ فقال: " من قال مخلوق فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع، وأنه يهجر حتى يرجع"(٤) .

(١) أصول الدين: البزدوي : ١٥٨، ١٥٩.
(٢) أنظر: أصول الدين ، البزدوي ١٥٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي،١٢/٦٣٠
(٤) طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى (١٧٦/٢).

وأصل هذه المقالة ترجع إلى القول باللفظ في القرآن، فقد نهى الإمام أحمد رحمه الله عن قول إنه مخلوق أو غير مخلوق؛ وذلك لأن (اللفظ) كلمة مجملة تشترك بين الملفوظ الذي هو القرآن وهو غير مخلوق، وبين التلفظ الذي هو فعل العبد وهو مخلوق[1].

و(الإيمان) من هذا الباب، فإنه لفظ مجمل مشترك، يشترك فيه صفات الله وكلامه، وفعل العبد وكلامه. ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إذا قال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد بالإيمان؟ أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه، كقوله: " لا إله إلا الله" وأيمانه الذي دل عليه اسمه المؤمن؛ فهو غير مخلوق. أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم؛ فالعباد كلهم مخلوق، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول.

فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدي وبان السبيل ، وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب"[2].

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ،٦٥٥/٧

(٢) أصول الدين: البزدوي : ١٥٨، ١٥٩.

ويقول الإمام الذهبي رحمه الله: " الذي صح عن السلف وعلماء الأثر أن الإيمان قول وعمل، وبلا ريب أن أعمالنا مخلوقة، لقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }[1]، فصح أن بعض الإيمان مخلوق، وقولنا: لا إله إلا الله فمن إيماننا، فتلفظنا بها أيضاً من أعمالنا، وأما ماهية الكلمة الملفوظة فهي غير مخلوقة لأنها من القرآن"[2].[3]

وعليه فما قرره البزدوي من التفصيل في هذه المسألة موافق عامة أهل السنة والجماعة في الجملة.

خاتمة بأبرز نتائج الدراسة

هدفت الدراسة الكشف عن آراء أبو اليسر محمد البزدوي الاعتقادية في مسائل الإيمان، واعتمدت الدراسة على منهج البحث الاستقرائي المتمثل في قراءة كتاب " أصول الدين " لأكثر من مرة من أجل تتبع كلامه في المسائل العقدية " مادة البحث "، ومنهج البحث التحليلي: وذلك بعرض أقوال البزدوي في المسائل العقدية، وبيان أدلته عليها مع تحليل نصوصها، ومنهج البحث النقدي: والمتمثل في نقد آراء البزدوي ببيان المواطن التي وافق فيها الحق، والمواضع التي خالفه فيها، مع التدليل على بطلان شبهاته من خلال عرضها على نصوص الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة وأئمتها، وتكونت الدراسة من مقدمة تشتمل على أهمية موضوع البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، مع التطرق للدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه وأهم خطواته، ومن ثمَّ خطة تقسيم البحث، ثم التمهيد: وتناول المراد بالأسماء والأحكام، ثم المبحث الأول: تعريف الايمان، والمبحث الثاني: القول في

(١) سورة الصافات، من الآية ٩٦.

(٢) مجموع الفتاوي ، ابن تيمية (٦٦٤/٧)، وانظر: الإيمان ،لابن مندة (٣٢٧/١).

(٣) سير إعلام النبلاء ، الذهبي (٦٣٠/١٢).

زيادة الايمان ونقصانه، والمبحث الثالث: الإيمان هل هو مخلوف أم لا؟، واتبعت الباحثة ما يلي في جمع المادة العلمية لدراستها: قراءة كتاب " أصول الدين " قراءة فاحصة لاستخراج المسائل العقدية عن الايمان وتتبع آراء البزدوي فيها، الاعتماد في قراءة كتاب " أصول الدين " على النسخة التي نشرتها المكتبة الأزهرية للتراث، أما ما يتعلق بعرض المسائل ودراستها فسارت وفق الخطوات التالية: ذكر رأي أبو اليسر البزدوي بحيث أُورد كلامه نصاً بتمامه في حال كونه قصيراً، أو مع التصرف فيه إن كان طويلاً بما لا يخل بمقصوده ومعناه، التعليق على نصوص ابو اليسر البزدوي وعباراته من حيث مدى موافقتها أو مخالفتها لمذهب أهل السنة والجماعة، وذلك على النحو التالي: إن كانت المسألة العقدية مما وافق فيه ابو اليسر البزدوي مذهب أهل السنة والجماعة: سأذكر ما يدل على ذلك من كلامهم وبعض أدلتهم تأييداً لما ذهب إليه، وإن كانت المسألة مما خالف فيه ابو اليسر البزدوي مذهب أهل السنة والجماعة: سأذكر ما يدل على ذلك من كلامهم، مع بيان بطلان قوله بما يتيسر من أوجه الرد، توخي الإنصاف والاعتدال في تقويم آراء أبو اليسر البزدوي.

والتزمت الباحثة في كتابتها بما يلي: عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالخط العثماني، تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وذلك من خلال الطريقة التالية: إذا كان الحديث موجوداً في الصحيحين أو في أحدهما فسأكتفي بهما عما سواهما، أما إذا كان الحديث موجوداً في خارج الصحيحين فسأجتهد في تخريجه من المصادر الحديثية المعتمدة الأخرى، ثم سأذكر حكم الأئمة عليه، توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها العلمية، وضع الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص " "، وما تم نقله بالمعنى أو تصرفت فيه فأشير إلى ذلك في الحاشية بلفظ: انظر، تذييل البحث بعدة فهارس لتيسير الاستفادة منه.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: ذهب أبو السير البزدوي إلى أن الإيمان هو التصديق في اللغة، تنوعت عبارات أئمة السلف الصالح رحمهم الله في تعريفهم للإيمان الشرعي، إلا أن جميعها تتفق على أنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ما ذهب إليه البزدوي من القول: بأن الإيمان هو مجرد التصديق قول مردود مخالف للنصوص الشرعية وما قرره أهل السنة والجماعة، ذهب البزدوي إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل بل هو واحد متماثل وهو قول مردود حيث إن إجماع أهل السنة والجماعة قائم على زيادة الإيمان ونقصانه، وأن أقوالهم متظاهرة في ذلك.

فهرس المراجع

القرآن الكريم

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية : عبيد الله بن محمد العكبري المعرف بابن بطة . تحقيق : رضا معطي وآخرون . الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع .
- الإيمان : احمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط٥. الأردن : المكتب الإسلامي ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده . تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي . ط٢. بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ
- أصول الدين : أبي اليسر محمد البزدوي . تحقيق : هانز بيترلنس . علق عليه : أحمد حجازي السقا . القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير . تحقيق : سامي بن محمد سلامة . ط٢. دار طيبة للنشر التوزيع ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري . تحقيق : محمد عوض مرعب . ط١. بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : يوسف بن عبدالله بن عبد البر . تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري . المغرب : وزارة عموم الأوقاف الشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ.
- الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل البخاري . تحقيق : مصطفى البغا . ط٣. بيرت : دار ابن الكثير ، اليمامة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- جامع العلوم و الحكم : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي . تحقيق : شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس . ط٧. بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي . تحقيق : سمير البخاري – عزيز شمس . ط١. دار عالم الكتب ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- رسالة إلى أهل الثغر : أبو الحسن الأشعري . تحقيق : عبد الله شاكر المدينة المنورة : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ١٤١٣هـ
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني ،عبد الله بن أبي زيد القيرواني.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة : محمد ناصر الدين الألباني . ط١. الرياض : دار المعارف ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قرة . دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرن . ط٣. الرياض : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- شرح أصول اعتقاداً هل السنة والجماعة : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي . تحقيق : أحمد بن سعد الغامدي . ط٨. السعودية : دار طيبة ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
- شرح العقيدة الطحاوية : محمد بن أبي العز الحنفي . تحقيق : أحمد شاكر . ط١. السعودية : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤١٨هـ .
- الشريعة : محمد بن الحسين الآجري . تحقيق : عبدالله عمر الدميجي . ط٢. الرياض : دار الوطن ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المملكة العربية السعودية : الحرس الوطني السعودي .
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي.

- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى . تحقيق : محمد حامد الفقي . بيروت : دار المعرفة .
- العقيدة رواية أبي بكر الخلال : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان . ط١. دمشق : دار قتيبة ، ١٤٠٨هـ .
- العقيدة الواسطية : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : علوي عبد القادر السقاف . ط١. المملكة العربية السعودية : الدرر السنية ، ١٤٣٣هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ .
- لسان العرب : ابن منظور . ط٣. بيرت : دار صادر ، ١٤١٤هـ .
- مجموع الفتاوى : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . تحقيق : عامر الجزار ، أنور الباز . ط٣. مصر : دار الفاء للطباعة النشر .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي . ط٣. بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني . تحقيق : صفوان عدنان الداودي . ط١. دمشق – بيروت : دار القلم ، الدار الشامية ، ١٤١٢هـ .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : يحي بن شرف النووي . ط٢. بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦هـ - ١٣٩٢م.